المشرق

قيامة المسيح

للاب يوسف غرد اليسوعي مدرّس اللاهوت في كليّة القديس يوسف

في هذه الأيام يتجلّى العالم المسيحيّ في افخر اثوابهِ وتهتزّ معاطف قلوب المؤمنين بطوالع موسم يطوّق نحورهم بقلائد العزّ والبهجة. كيف لا ويحتفل النصارى بذكر اعظم حادث جرى في كرور الادهار وسُطّر في بطون تواريخ الاعصار نريد قيامة السيّد المسيح لذكرهِ المجد وانتصارهُ على قوّات الجحيم وسلطة الموت

قلنا انّ هذا حادث تاريخي ولا بدع لانّ يسوع الناصريّ ليس كاحد ابطال الاجيال الغابرة او آلهة اساطير الاوّلين الذين شاع ذكرهم بين قدماء اليونان او براهمة الهند فاعارهم الشعراء من الصفات والسجايا ما سوّلتهُ لهم مخيّلتهم فنشروا بين الناس ما اختلقوهُ وزاد العامّة على ذلك من الخرافات والترّهات ما لا يقبلهُ عقل عاقل. لا لعمري بل انّ يسوع المسيح رجلٌ معروف لا شكّ في وجودهِ كما لا ريب في وجود الاسكندر الفتّاح او تابليون الكبير. هو رجلٌ محسوس ذو لحم ودم كبقيّة البشر لهُ تاريخ ثابت وترجمة حياة مقرّرة. لهُ نسبٌ معلوم يرقّي اصلهُ الى داود بسلسلة متواصلة. قد دُوّن عهد مولدهِ في اكتتاب اجراهُ احد ولاة الرومانيين في قرية تُدعى بيت لحم. قُتل بموجب حكم ارسل بيلاطوس البنطيّ صورتهُ الى طيباريوس قيصر. وكان هذا القرار مودعًا في دار الصكوك في رومية على عهد ترتليانوس المعلّم المتوفى سنة ٢٤٥ للمسيح

وقد اثبت الامر ذاك الكاتب الشهير في تآليفهِ. اما حياة المسيح وبشارتهُ فمما ظهر على رأس الملأ لم يشهد بهما فقط بعض التلامذة الاميين بل جموع كثيرة وشعب لا يُحصى عديدهُ. وكان يتأثرهُ جماهير مجمهرة منهم اصحاب يرتاحون الى كلامهِ ويشيدون بذكرهِ ومنهم اعداء الدَّاء يترصَّدون كلّ حركاتهِ ويتجسَّسون كلامهُ لعلَّهم يجدون في اعمالهِ او اقوالهِ مغمزًا يمكنهم من القبض عليهِ ليذيقوهُ الموت الذُّعاف وهم لم يرعووا عن غيِّهم ويعدلوا عن سوء نيَّتهم ريثما فازوا بالمراد فقتلوا البارّ بيد الحاكم الروماني واودعوهُ اللحد وختموا على قبرهِ ظافرين. تلك امور شهد على صحَّتها كتب اليهود وتواريخ الوثنيين فضلًا عن الاناجيل المقدَّسة

لكنَّ النصارى مع اقرارهم بهذه الحقائق التاريخيَّة يعتقدون بامر آخر ليس هو دون ذلك شأنًا وهم يبذلون حياتهم بطيب الخاطر لاثبات صحَّتهِ. اعني بهِ لاهوت هذا المصلوب وكونهُ ابنًا لله. ولهم في اقامة البيِّنة على ذلك شواهد صادقة وادلَّة ناطقة يسطع في جملتها برهان لامع يفوقها كلَّها فووق الشمس على الكواكب وهو وحدهُ يُغني عنها جميعًا ألا وهو قيامة السيِّد المسيح فانَّها ركنٌ تستند اليهِ النصرانيَّة وان قوي انسان على دحضهِ اسقطها وابادها معهُ. اما اذا ثبت هذا البرهان فيثبت معهُ الدين النصرانيّ وهو في حرز حريز وحصن منيع « يعزُّ على من رامهُ ويطول » وقد اقرَّ بذلك القديس بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل قورنتس الاولى (١٥ : ١٤) حيث يقول : « فان كان المسيح لم يَقُمْ فكرازتنا اذن باطلة وايمانكم ايضًا باطلٌ ». وقد ادرك الحواريُّون ما في هذا الامر من الخطر فانَّهم لمَّا حاولوا ان يقيموا خلفًا ليهوذا الاسخريوطيّ ارادوا ان يكون ممَّن يشهد معهم بقيامة الربّ من الاموات (اعمال ١ : ٢٢). وكذلك ادرك اعداء المخلِّص انَّ قيامتهُ تبطل كلّ مكايدهم ومن ثم طلبوا الى بيلاطوس ان يُحرَس القبر لئلَّا يُسرق جسم يسوع فيشيع بين الشعب خبر قيامتهِ (كما سبق واخبر بذلك) فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى (متَّى ٢٧ : ٦٥)

فترى من ثمَّ ما وراء هذه الحقيقة من عظم الشأن. ولذلك قد عوَّلنا في هذه المقالة ان نوضح للقرَّاء هذه القضيَّة فنبيِّن قوَّتها ومَنَعتها بازاء كلّ غارات الهرطقات. ونقسم هذه النبذة الى قسمين فنثبت في القسم الاوَّل انَّ قيامة المسيح مع ما يلوح في وقوعها

لاوّل وهلة من الغرابة وعدم الامكان لحادثةٌ نيّرة اكيدة لا طاقة الى جحودها . وفي القسم الثاني نبرهن انّ هذه القيامة هي اقوى دليل على لاهوت المسيح

١

كانت وفاة المسيح نحو الساعة التاسعة من النهار اي الثالثة بعد الظهر من يوم جمعة الفصح . ولم يمرّ على موتهِ ثلاث ساعات حتى رخّص الوالي ليوسف الراميّ بان يتزل جسمهُ من على الصليب ويدفنهُ فتمّ الامر بمحضر من بعض النساء التقيّات ومساعدة نيقوديموس ويوحنّا الحبيب

تلك امور جرت بعلم الرومان واليهود معًا ولم يلبث القبر ان دُحرج على بابهِ حجر كبير وخُتم بخاتم الولاية وجُعل عندهُ حرّاس لئلاّ ينتهك حرمتهُ احد فاطمأنّ اليهود غير مكترثين لما سمعوهُ من فم « ذلك المُضلّ » انهُ يقوم من الاموات

ولكن يا للعجب العجاب بينما كانت الامور على هذه الحال اذ شاع في اورشليم بعد يومين انّ الجسم توارى من القبر . وانّ الميت قد قام بملء الحياة والمجد وانهُ ظهر لا مرّة واحدة بل مرارًا متعدّدة وفي امكنة شتى وفي ظروف تختلف ايّ اختلاف . وانّ الذين نظروهُ مسّوا جسمهُ وتكلّموا معهُ وآكلوهُ . وكلّ ذلك يشهد بهِ ليس واحد او اثنان بل نيّف وخمسمائة من الشهود العيان الأثبات الذين عاينوهُ مرّة اخيرة صاعدًا في الجوّ بكل ابّهة وجلال الى ان توارى عن ابصارهم تمامًا

نعم ان الشهود الذين يعلنون بهذه الامور الغريبة هم من تلامذة المصلوب لانّ اليهود الذين قتلوهُ والجنود الذين صانوا قبرهُ لم يعاينوهُ البتّة . وهذا ممّا يقرّ بهِ صريحًا بطرس الصفا وهو مع ذلك لا يتردّد في أدا شهادتهِ حيث يقول (اعمال ١٠ : ٤٠ — ٤٣) : « هذا (يسوع الناصريّ) اقامهُ الله في اليوم الثالث واعطاهُ ان يظهر علانيةً لا للشعب كلّهِ ولكن لشهود اصطفاهم الله من قبلُ اي لنا نحن الذين اكلنا وشربنا معهُ بعد قيامتهِ من بين الاموات وقد اوصانا ان نكرّز للشعب ونشهد بانهُ هو الذي عيّنهُ الله ديّانًا للاحياء والاموات »

فهذه الشهادة الصريحة حادثٌ واقعيّ وردت في التاريخ ولا يمكن انكارها . ولكن يستطيع اهل البحث وارباب العلم ان يسبروها بمعيار الانتقاد ويقيسوها بمقياس العقل ليروا ان كانت تتمّ فيها شروط الشواهد التاريخيّة . اعني اولًا ان كان الشهود محقّين

صادقين ليسوا من الماكرين المخرقين. وثانياً ان كانوا من الشهود الأثبات الذين يوثق بشهادتهم لم يرووا ما رووا جهلاً دون تروٍّ. متابعين لخيلتهم واضغاث احلامهم. وخلاصة القول لا بُدَّ لنا قبل المصادقة على شهادتهم والرضى بقولهم ان نتبيَّن انهم لم يخدَعوا ولم يُخدَعوا. فاذا تقرَّر هذان الشرطان لا مناص من قبول شهادتهم وثبت معاً انَّ المسيح إله

١ صدق الرُّسل في شهادتهم عن قيامة المسيح

امَّا كون الرُّسل صادقين محقِّين ليسوا بعيَّارين مكَّارين فذلك ممَّا يلوح من نفس رواياتهم فانَّ من يمعن النظر في ما اوردتهُ الاناجيل المقدَّسة يَرَ الحقَّ يتدفَّق من كلامهم. فانَّك لا تشعر في شهادتهم بشيء من التصنُّع ولا طنطنة الألفاظ ولا تزويق الكلام وترقيشهِ ممَّا يدلُّ على بعض اختلاق لا بل في كل ما يروي هؤلاء الامينون سمةٌ واضحة من السذاجة تقضي بالعجب وتمثِّل الحقيقة على صورة من الصدق واليقين لا ينكرها الَّا من كابر الحقَّ وعاندهُ. وقد اقرَّ العرب بذلك فدعوا تلامذة المسيح بالحواريين قالوا: « انَّما دُعوا بهذا الاسم لصفاء نيَّتهم وصدق سريرتهم »

ولكن هَبْ ان الرُّسل اتَّفقوا على تشييع خبر قيامة المسيح وهو كاذبٌ لا نصيب لهُ من الصحة تُرى هل امكنهم ان يُقنعوا بقصَّة فريَّة مثل هذه فيجيزوها على عقول الناس ويدافعوا عنها بازاء كلّ اهل اورشليم بل بازاء اعداء سيِّدهم الذين ما كانوا ليسكتوا عن الافك والمَين او بالاحرى كانوا أقاموا اصحاب الزور والبهتان الحجر وافحموهم بالدليل

قال الاب مُنسبراي الخطيب الشهير: « لو كان خبر قيامة المسيح من الروايات الفريَّة لاستشففنا الكذب من ورائها وظهر اختراع البشر لا محالة. قُل لي ناشدتك الله كيف امكن قوماً من الرعاع الاميين ان يتَّفقوا بغتةً على إشاعة معجزةٍ ليس لها شبيه في تواريخ الاوَّلين فيرووها امام الوفٍ وربوات من السامعين دون ان تُستَرَوَح منها رائحة الكذب. أفما كان ظهر من اقوال الرسل عدَّة دلائل تشهد على خداعهم كالتناقض في الروايات المختلفة وكالاقاويل الخرافيَّة التي تُدحض لاوَّل وهلة وكالزخارف والتنميقات والمبالغات التي هي من اقوى أعلام الخداع واوضح آيات البهتان. على انَّ الامر على عكس ذلك ترى تلاميذ المسيح يخبرون بخبر لم يطرق على بال بشر وهم يروونهُ ببسط

كلام كما عاينوهُ دون ان يلوح من قولهم او حركاتهم او تصرُّفهم شيء يدلُّ على اختراع او تلفيق كالقلق او الانزعاج ولا شيء من الاهواء النفسانيَّة كالخوف او الرجاء. فليت شعري اي كاذب مموِّه يستطيع عملًا كهذا. ومن اعتبر رواية الرسل بعين خالية من الغرض لا يسعهُ الَّا ان يقول لولا انَّ قيامة المسيح امرٌ لا ريب فيهِ لما امكن هؤلاء ان يشهدوا بشهادة الحقّ ولظهر صريحًا كذبهم على رؤوس الملإ. فانَّ سذاجة روايتهم لمن انطق الدلائل واصدق الشواهد على انَّهم شهود ثقة لم يريدوا الغشّ ولم يحاولوا الخداع »

هذا ولنا على صدق الرسل وصحَّة شهادتهم على قيامة الربّ حجَّة اخرى ابهر آيةً واوضح دلالةً. نزيد قوَّتهم وثباتهم في تأييد قولهم. نعم انَّ الدجَّالين ربَّما تجاوزوا كلَّ حدود الخبث والدعارة ولكن اذا اقتضى الامر ان يبذلوا في سبيل الخداع مهجتهم ويتحمَّلوا الشتائم والنكال وانواع الموت لاثبات الكذب تراهم في الغالب ينكصون على الأعقاب ويبوؤن باثمهم ليتملَّصوا من الكراهية والمحن. واذا ما ثبت منهم البعض على تلك البلايا (وقليل ما هم) انَّما يثبتون ذلك امَّا خوفًا من عذابٍ اعظم او املًا بمطلوب مرغوب

وليس الامر كذلك في الرسل تلامذة المسيح فانهم جميعًا خاطروا بانفسهم وبذلوا الارواح وقاسوا الشدائد والمحن وذاقوا الموت الاحمر بطيب الخاطر دون ان ينكثوا بشهادتهم او ينقضوا حرفًا ممَّا سبق لهم قراره. حتى جاز لنا القول مع الفيلسوف بَسكال: « انّي لاصدّق شهادة رجال يعرّضون انفسهم للهلكة والموت إثباتًا لقولهم » وهذا ما اقرَّ بهِ الملاحدة فضلًا عن المؤمنين كستروس (Strauss) مثلًا والجاحد رينان وغيرهما كثيرين فلم يروا وجهًا لانكار صدق الرسل. وكيف ناشدتك الله ينكرون امرًا اضوأ من الشمس. لانَّ تلامذة المسيح كانوا تفرَّقوا وانقطع سلك نظامهم منذ موت سيِّدهم وقد استولى عليهم الخوف والخجلُ حتى لم يجسروا ان يخرجوا من عليّتهم « خوفًا من اليهود » وهاك تراهم بعد زمن قليل ينتصبون امام القوم المزدحمين حولهم فيبشرون بقيامة المصلوب وذلك بازاء اعدائهِ الذين امروا بصلبهِ قبل خمسين يومًا ويبكتونهم على فعلهم لا يُبالون بالوعد والوعيد ويثبتون صحَّة قولهم بالمعجزات الباهرة

ولمَّا تصدَّى لهم الكهنة والشيوخ ورؤساء الشعب وحبسوا اثنين منهم اعني بطرس ويوحنَّا واقاموهما في وسط مجمعهم مشدّدين عليهما النكير مع الامر بالَّا يبشّروا بهذا الاسم يجيب الرسولان بجرأة (اعمال ٤ : ١٩) : « احكموا انتم ما العدلُ امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانّا لا نقدر ان لا نتكلّم بما عاينَّا وسمعنا » فتهدَّدوهما وصرفوهما

الَّا انَّ الرسل لم يكفُّوا عن التبشير بل زادوا غيرةً ونشاطاً في كرازتهم بقيامة المخلّص من بين الاموات . فعاد اليهود وقبضوا ليس فقط على بطرس ويوحنَّا بل على الاثني عشر بأسرهم والقوهم في السجن ثم جلدوهم بالسياط وتهدَّدوهم بما هو اعظم واشدّ لو ثبتوا على قولهم . فلم يفعل كلام اليهود فيهم . وكان جوابهم الوحيد « انَّ الله احقُّ من الناس ان يُطاع » بل « خرجوا من وجه المجمع فرحين بانَّهم حُسبوا مستاهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع » (اعمال ٥ : ٤١)

فيا ليت شعري كيف تغيَّرت قلوب هؤلاء التلامذة ؟ انَّى لهم هذه القوَّة وهذا الثبات العجيب بازاء العذابات والموت لولا انَّهم علموا العلم التامّ بحقيقة قيامة الرب وتحققوا صحَّة هذا الحادث الغريب الذي شهدوا بهِ

نعم انَّنا لا نجهل نحن المسيحيين انَّ هذه القوَّة التي ظهرت في الحواريين انَّما أُوتوها من الله كما سبق السيّد المسيح ووعدهم بذلك حيث قال (اعمال ١ : ٨) : « ستنالون قوَّة الروح القدس الذي يحلُّ عليكم فتكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديَّة وفي السامرة والى اقصى الارض » لكنَّ القوَّة العلويَّة لم يُمنحوها الَّا بعد ان استثبتوا خبر قيامة الرب وعرفوا صحَّتها . ولولا قوَّة الحقّ على نفوسهم لما امكن الله ان يؤيّدهم بسلطانهِ لينصروا الباطل والزور بل كانوا بعد موت سيّدهم ايسوا منهُ فعادوا الى بيوتهم لينتظروا مسيحاً آخر يردّ الى اسرائيل ملكهُ المفقود ومجدهُ الدارس : وهذا ما اخذ بفعلهِ تلميذا عمواس اللذان خرجا من اورشليم كئيبين آيسَين فتراءى لهما الربّ وثبَّت ايمانهما فعادا الى لفيف الاخوة

وكأني اسمع هنا اصوات المعترضين ليبيّنوا ببعض الدلائل انَّ رُسل المسيح خدعوا العالم بنشر خبر قيامتهِ

يقولون (اوّلًا) انَّ الرسل كانوا يحبُّون معلِّمهم محبَّة فائقة الحدود فلم يرضوا بان يُدفن مجدهُ معهُ ولذلك اشاعوا خبر قيامتهِ الموهوم

نقول انَّ هذا الاعتراض لا يقبلهُ العقل لانَّ الرُسل كانوا من صعاليك القوم لا نفوذ لهم ولا جاه ولا علم البتَّة فكيف يقنعون بصحَّة خبر كهذا ائمَّة الشعب والرؤساء والكهنة . ثم كيف يعرضون على الناس السجود لرجلٍ قتلهُ اعداؤهُ وستَروهُ على خشبة العار فيجلبونهم الى ان يعبدوا طوعاً « مصلوبًا هو شكٌّ لليهود وجهالة للامم » كما يقول بولس الرسول (١ كور ١ : ٢٣) . وهل كان يمكن ان ينتظر الرسل لو فعلوا ذلك غير الاهانات والعذابات والوان الموت كما جرى لهم رغماً عن شهادتهم الصادقة

يقولون (ثانياً) انَّ الرسل كانوا سمعوا من فم سيّدهم ذِكر الملكوت فلمَّا مات معلّمهم لم يرضوا بان تخيب آمالهم فبشَّروا بقيامتهِ ليمكنهم ان يعيدوا ملك اسرائيل ويكونوا هم من اركان هذه الدولة المجدَّدة

نجيب ان الرسل لو ارادوا ان يجدّدوا ملك بني اسرائيل باشاعة خبر قيامة المسيح لكانوا طلبوا ملكاً زمنيًا مع الغنى والشرف والسلطان . ولا نراهم بعد قيامة المسيح يفكرون في شيء من ذلك كما كانوا يفعلون قبل قيامتهِ . وغاية ما يريدون ان يقيموا مملكة روحيَّة مبنيَّة على الفقر والزهد والتواضع والصبر على الآلام والاوجاع ولا يتَّخذون لنوال غايتهم شيئاً من الوسائل البشريَّة وانَّما اتكالهم عليه تعالى فكيف يا تُرى يُنجح الله مقاصدهم اذا ما كان مسعاهم مبنيًا على الافك والخديعة

ثم نرى قول الرسل مؤيَّدًا بالمعجزات والعجائب فقل لي رعاك الله هل يستطيع تعالى ان يثبت اكاذيب المكّارين بكراماتهِ وخوارقهِ . وليست هذه المعجزات اموراً خفيَّة بل يصنعها التلاميذ على رؤوس الاشهاد وذلك باسم يسوع الناصريّ المصلوب . كما فعل بطرس ويوحنَّا بذلك الاعرج الكسيح الذي لقياهُ على باب الهيكل فشفياهُ بغتةً اثباتًا لقيامة المسيح واعلنا بالامر امام الشعب باسرهِ ثم امام مجلس الشيوخ وعظماء الاحبار فقالا : « يا رؤساء الشعب وشيوخ اسرائيل ان كُنَّا نُفحص اليوم عن إحساننا الى رجل سقيم بماذا برئ فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انهُ باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموهُ انتم والذي اقامهُ الله من بين الاموات بذاك وقف هذا امامكم متعافيًا » (راجع سفر الاعمال ف ٣ ثمَّ

ف ٤ : ٨) . فان كان الله أيّد قول الرسولين بالعجوبة كهذه فذلك دليل واضح على صحّة قيامة المسيح التي لاجلها اجترحا هذه المعجزة الباهرة لانهُ من المستحيل ان يسمح الله بعمل المعجزات اثباتًا للضلال وتأييدًا للمكر . وقد اقرَّ بذلك الخمسة الآلاف من اليهود الذين اذعنوا للحقّ وطلبوا من الرسل ان يعتمدوهم باسم المسيح

على انَّ لليهود اعتراض (ثالث) يلتجئون اليهِ لنكران قيامة المسيح قالوا: « انَّ تلامذة يسوع اتوا خفيةً وسرقوا جثَّتهُ من القبر والحرَّاس نيام » وهو قول شاع عند اليهود منذ ايَّام الرسل كما دوَّن ذلك القديس متى في انجيلهِ (ف ٢٨) . ثم رواهُ اليهود في كتابهم المسمَّى بالتلمود . يقولون انَّ تلاميذ يسوع كانوا سمعوهُ في حياتهِ يذكر انهُ سيقوم من بين الاموات فلمَّا رأوهُ مات ارادوا ان يصونوا شرفهُ ويخدعوا القوم بخبر قيامتهِ

ولكن هلمَّ بنا نبحث عمَّا في هذا القول من الصحَّة ليرى القُرَّاء انَّ الحواريّين لم يفكِّروا في امرٍ كهذا وانَّهم لو حاولوا تنفيذهُ لنالهم خلاف ما كانوا يؤمّلون فنقول :

إمَّا انَّ الرسل كانوا عالمين بقيامة الربّ يعتقدون بقرب وقوعها لانَّهم سمعوا بذلك من فمهِ . واماَّ انهم لم يعتقدوا بها البتة . واماَّ انهم كانوا في ريبٍ وشكّ من وقوعها . فان قيل (الاوَّل) كان حقهم ان ينتظروا بملء الصبر ان يقوم الرب في الوقت المعيَّن دون ان يبتدروا الامر فيطمسوا شيئًا من معالمهِ ويُنقصوا شأنهُ . وان قيل (الثاني) اعني عدم اعتقادهم بقيامة المخلّص فلم يبقَ لهم بعد موتهِ الَّا ان يتشتَّت شملهم ويتفرَّقوا تحت كل كوكب لانَّ كلّ امانيهم في معلّمهم بطلت وخابت ولم يَعُد لهم ثقة في كلامهِ ورجاء في قيام مملكتهِ . فليس هو اذن المسيح الموعود بهِ ولا داعي يحدو بهم الى ان يُنفذوا كلام رجل مكَّار خدَّاع . وان قيل (الثالث) وهو اقرب الى الصواب اعني انَّهم كانوا يتردَّدون بين الرجاء وخيبة الآمال فكان ايضًا الأولى بهم ان ينتظروا ريثما تنقشع سحابة الشكّ . فإمَّا تتوطَّد آمالهم بقيامة معلّمهم ويتحققون انهُ مسيح الله واماَّ يقنطون منهُ فلا يعودون الى ذكرهِ ابد الابد

ولعلَّ قائلًا يقول انَّ الاهواء استفزَّت التلاميذ فخدعهم حبُّهم الاعمى لمعلمهم وسوَّل لهم الشيطان ان يسرقوا جثَّتهُ ليُشيعوا بخبر قيامتهِ

فنجيب على المعترض لو صحَّ قولك لما تمَّ ذلك الَّا باحد امور ثلاثة اعني بالقوَّة الجبريَّة او بالرشوة او بالمكيدة. وليس اثر للحقيقة في احد هذه الامور

لم يمكن الرسل ان يلتجئوا الى القوَّة الجبريَّة. وذلك لاسباب عديدة منها انَّ القبر كان مختوماً بخاتم الوالي الروماني يحرسهُ جنود متيقظون انذرهم رؤساء الكهنة والشيوخ بخطر السرقة وحذَّروهم فلو حاول التلامذة انتهاك حرمة القبر لما تردَّد الحرَس في ان يحولوا بينهم وبين القبر. ومنها ان الرسل كانوا اذ ذاك في حالة يرثى لها من الخوف والهلع اذ هربوا منذ نظروا معلمهم في ايدي اعدائهِ. وبلغ الجبن باعظمهم شأنًا وهو بطرس الصفا الى ان نكرهُ لمجرَّد اشارة أمةٍ ذليلة قالت انهُ من تلاميذهِ. وان قيل ان بطرس بعد نكرانهِ احبَّ ان يستقتل في سبيل معلمهِ ليكفِّر عن ذنبهِ فجمع التلاميذ وهجموا على الحرس. اجبنا انَّ قتالًا كهذا لا يجري دون ان تبقى آثارهُ من جرحى وقتلى وليس شيء ينبئ بمثل ذلك. ولا نرى بيلاطس البنطي ورؤساء الكهنة يحاكمون الرسل على جناية تُعدُّ من اعظم الجنايات. بل يكتفي الشيوخ بان يتهدَّدوا الرسل ويأمروهم بالَّا يكرزوا بيسوع الناصري

ولقائل انَّ الرسل فضَّلوا الرشوة فاعطوا دراهم للحرَّاس الذين مكَّنوهم من نقل الجثَّة. نجيب انَّنا لا ننكر مَيل الجند الى الرشوة وقد اشترى اليهود شهادتهم الكاذبة ليقولوا انَّ تلاميذ يسوع سرقوا جسمهُ من القبر (متى ٢٨: ١٦). ولكن كيف استطاع الحواريُّون ان يرشوا الجند وهم فقراء صيَّادون لا ثروة لهم. فان قيل انَّ نيقوديموس ويوسف الرامي كانا من الاغنياء ومن تلامذة يسوع اجبنا انَّ اعداء المسيح كانوا يترصَّدون كلَّ حركات الرسل فلو عرفوا بانَّهم رشوا الجند لمَّا تأخروا عن فحص الامر اذ انَّهم لم يقيموا الحرس الَّا ليمنعوا هذه السرقة. ولكانوا هتكوا السرَّ واباحوا باثم الرسل يوم جعل هؤلاء يبشرون بقيامة سيدهم كما انَّهم كانوا جازوا الجند بالعقاب لقبولهم الرشوة

فبقي المكر والختل. يقول الخصوم انَّ الرسل سرقوا جثَّة المسيح كيدًا ولكن زجوهم ان يفيدونا باي طريقة فعلوا ذلك. فيجيب البعض انَّ الرسل فتحوا سربًا تحت

الارض حتى بلغوا القبر فاخذوا الجثَّة التي فيهِ. ولكن ساء ظنُّهم فكيف يا تُرى امكن الرسل بثلاثين ساعةً ان ينجزوا عملًا كهذا فيفتحوا سربًا واسعًا وينقروا الصَّخر. ثم كيف استطاعوا ذلك دون ان يلحظهم الحرَّاس ويسمعوا صوت المطارق. او كيف لم يبقَ اثرٌ لهذا السرب بعد فتحهِ فيشهد على السارقين — يقول غيرهم بل دخل الرسل القبر من بابهِ اذ كان الحرس نيامًا. يجيب القديس اوغسطينوس: « تأتون أيُّها اليهود بشهود نيام أليس الأحرى ان يقال انَّكم انتم نيام اذ توسَّلتم بهذه الوسيلة ». والحقُّ يقال انَّ شهادة النائم لا تُقبل في القضاء بل كان الحرس يستوجبون العقاب فلماذا لم يحاكمهم اليهود ويزُجوهم في الحبس. ثم زد على ذلك امورًا كثيرة لا تُصدَّق منها انَّ الحرَس كلَّهم ناموا في وقت واحد النَّوم الغَرق وانَّهم لم يحسُّوا بضوضاء كهذه فانَّ فضَّ ختم الولاية ودحرجة الحجر وترع الجسم كلَّ ذلك لا يتمّ دون حركة وضجَّة. ثم ان السارق اذا سرق اسرع ما امكنهُ لا يبالي بالكسر والتبذير والخراب. ونرى على خلاف الامر الاكفان ومنديل الراس موضوعةً منظَّمة كلٌّ منها على حدة (يوحنَّا ٢٠ : ٧—٨) افليس هذا دليلًا على انهُ ليس ثمَّت نهبٌ ولا سرقة

فهذه مجمل الاعتراضات التي اخترعها نكَرة قيامة المسيح لينسبوا هذا السرّ العجيب الى الخداع والمكر. فترى انَّ حججهم باطلة لا تقوم بازاء العقل الصائب ويحقُّ لنا نحن النصارى ان نقول بكل صدق ويقين انَّ الرسل لم يكونوا من اهل الخداع والغشّ وان شهادتهم صادقة

ولكن ان كانوا لم ينووا الكذب والمكر أترى لم يكونوا هم انفسهم من المخدوعين فآمنوا دون بيّنة كافية وايقنوا بصحَّة امر لا ركن لهُ ولا سند وكان انخداعهم مجلبةً لانخداع الذين سمعوهم. ففي عدد آخر نبحث عن هذه القضيَّة الثانية ونعرضها على حكم العقل والانتقاد (ستأتي البقيَّة)